الوسطية الفكرية في منهج ابن التباني السطيفي الجزائري وأثرها في نشر العلم

بقلم

د. خالد حباسي — habkhaled@gmail.com

ط/دكتوراه: سهام بن سعيدي — sihbensaidi@gmail.com

قسم أصول الدين ـ معهد العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي

ملخص البحث

تعتبر الوسطية منهجا فكريا قوامه الاعتدال والإنصاف، مما يكفل سلامة التصورات والمناهج والمواقف، وقد عني علماء ومفكرو الإصلاح والتجديد بنشر معانيها وترسيخ قيمها ومن بينهم: محمد العربي بن التباني أحد مفكري المغرب الإسلامي وعلمائه الأفذاذ، الذي تصدى لمشكلات مجتمعه من خلال رؤيته الوسطية التي تحكمها المرجعية الدينية الثابتة وتوجهها نظرته النقدية الفاحصة لقضايا الأمة، وقد جاءت هذه الدراسة لتتناول أنموذجا من شخصيات المغرب العربي الإسلامي عموما والجزائري خصوصا، وذلك من خلال إسهاماته في نشر العلم الصحيح الهادف إلى خدمة الأمة الإسلامية.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد تضمّن المفاهيم المتعلقة بالبحث، ومحورين يتصدرها بيان لأسس ومعالم الوسطية عند محمد العربي بن التباني على المستوى الفكري و الثقافي وصولا إلى أثر ذلك في نشر العلم، حيث تتخلله قراءة سريعة لأحد مؤلفاته، وخاتمة تتضمن جملة من النتائج.

وقد استخدمت المنهج الوصفي التحليلي في عرض الأفكار الواردة في طيات هذا البحث.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنعم على هذه الأمة بنعمة الإسلام، وكرمها بصفة الخيرية بين الأمم والمجتمعات، مصداقا لقوله تعالى :« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ » (آل عمران : 110) ، وزادها شرفا بأن جعلها أمة وسطا، فقال تعالى : «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) » (البقرة : 143)، والصلاة و السلام على سيدنا محمد دليل هذه الأمة قدوتها في بيان منهج الاستقامة والتوسط، قال تعالى: « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (الأنعام : 153)، أما بعد :

انطلاقا من تحري الصواب في انتهاج السبل والاختيارات اقتداء بالمنهج المستقيم الذي خطه لنا رسولنا

الكريم، عكف علماء الأمة الإسلامية ودعاتها ومفكروها والقائمون على إصلاح أحوالها على بيان المنهج الحق في معالجة قضايا الأمة وما يطرأ عليها من متغيرات، وكذا تقديم الإسلام كمشروع حضاري متكامل، ومن النماذج الذي اهتدت بهدي خير الأنام، واتبعت سبيل الوسطية في إصلاح الأمة والسهر على معالجة قضاياها: الشيخ ابن التباني الذي يعتبر في هذه الديار بمثابة الشخصية التي تجسد معاني وقيم الوسطية القائمة بالعلم والمعرفة الحقيقية في مواجهة الغلو والتطرف، والكثير قد لا يسمع بهذه الشخصية التي احتلت في مقام العلم والسلوك، والمنهج الفكري الوسطي قدرا عظيما.

عملت على قراءة بعض من كتبه لتحليل محتواها، من خلال التركيز على أهم مؤلفاته التي عمد فيها إلى إعادة تمحيص وتدقيق المؤلفات السابقة، ومن هذه النظرة انطلق الشيخ في نشر الوعي في أوساط مجتمعه المغاربي والمشرقي، لإيقاظه من غفوته متسلحا في ذلك بعلم غزير، ونظرة مفكر بصير، سائرا في خطته الإصلاحية بقصد واعتدال، مستمدا من الأطر المرجعية الدينية والحرص على إضافة الجديد النافع لأمته.

قسمت هذا البحث -بناء على ما تجمع لدي من مادة علمية- إلى ما يلي:

- تمهيد
- مبحث لبيان وضبط المفاهيم الواردة في البحث: ويتضمّن (مفهوم الوسطية، بطاقة تعريفية بالشيخ محمد العربي ابن التباني).
- مبحث تطبيقي عرّجت فيه على معالم الوسطية في فكر الشيخ، وأثرها في نشر العلم من خلال منهجه في التأليف، وقد اعتمدت كتابه "تنبيه الباحث السَّريّ إلى ما في رسائل وتعليق الكوثري".
- خاتمة

أولا / مبحث مفاهيمي :

نعرج قبل البدء في موضوع البحث على مقاربة مفاهيمية لمصطلحات البحث؛ فمن شأنها أن تكون مفتاحا لفهم الموضوع والوصل بين متفرقاته، ليتيسر الفهم المتكامل، ويسهل الترابط بين عناصر البحث ومحاوره.

أولا: مفهوم الوسطية:

أ- لغة : يطلق هذا مصطلح "الوسطية" ويدل على مجموعة من المعاني المتقاربة الدلالة ونذكر منها:

- العدل: ويدل على هذا المعنى قول ابن فارس[1]: (الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه ....) [2]، وقال صاحب لسان العرب [3]: (ووسط الشيء وأوسطه

1) هو العلامة اللغوي المحدث أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي المالكي، ولد بقزوين وأقام بالري ودفن بها عام خمس وتسعين وثلاث مائة . انظر : سير أعلام النبلاء (17/103)

2) معجم مقاييس اللغة: كتاب الواو ، باب: الواو و السين) (6/108)

3) صاحب لسان العرب: هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل كان ينسب إلى رويفع بن ثابت الأنصاري ولد سنة 630 هـ وتوفي 711هـ .

أعدله)[4].

• (وسط) بمعنى (بين) جاء في لسان العرب: (وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف لاسم جاء على وزن نظيره في المعنى وهو (بين) نقول: جلست وسط القوم أي بينهم ...)، ومنه قول سوار بن المضرب:

إني كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط الناس عريانا [5]

• وتأتي (وسط) بفتح السين بمعنى (خيار) وأفضل وأجود : فأوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط أي خيار منه.

إن لها فوارسا وفرطا ونضرة الحي ومرعى وسطا [6]

ويأتي الوسط بمعنى الشيء بين الجيد و الرديء : وهو ما نجده في قول الجوهري[7] في الصحاح: (ويقال أيضا شيء وسط، أي بين الجيد والرديء) [8]

ومن خلال ما سبق نجد أنّ الدلالة اللغوية لمصطلح الوسطية في المعاجم العربية ترادف معاني: العدل والخير والأفضل والأجود بين شيئين، أو بين الجيد والرديء.

• ب- شرعا: بعد تتبع المعاني التي وردت عليها لفظة الوسطية فيبعض الآيات، ولا أزعم استيعاب جميع المراجع لأن ذلك يتطلب جهدا أوسع ووقتا أطول :

• في القرآن نذكر قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾9 قال الطبري[10] أي عدولا[11]. وقال محمد رشيد رضا[12] في تفسيره للآية هو تصريح بما فهم من قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾13. أي: على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطا.

• قوله تعالى: « فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ »14

وقال سيد قطب. [15] -رحمه الله- في كتابه "في ظلال القرآن": (وأوسط تحتمل من أحسن، أو من متوسط.

---

4) لسان العرب ، فصل الواو باب وسط (430/7)

5) المرجع نفسه (430/7)

6) نفس المرجع (430/7،427)

7) هو إسماعيل بن عماد الجوهري الفارابي امام العربية كان من أعاجيب الزمان ذكاء و فطنه و علما له مصنفات أشهرها كتاب الصحاح في اللغة كانت وفاته سنة (98 ه). انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء (151/6)

8) انظر : الصحاح (1167/3)

9 سورة البقرة الآية 143.

10) هو الإمام المؤرخ المفسر الفقيه الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري ولد في أمل طبرستان توفي ببغداد (310 ه) سير أعلام النبلاء (267/14).

11) تفسير الطبري (7/2)

12) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن منلا علي القلموني البغدادي الأصل صاحب مجلة (المنار) و داعية التجديد و الإصلاح صاحب تفسير المنار – انظر : الأعلام للزر كلي (126/6)

13 سورة البقرة 213.

14 سورة المائدة الآية 89.

وكلاهما من معاني للفظ. وكان الجميع بينهما لا يخرج عن القصد، لأن المتوسط هو الأحسن. فالوسط هو الأحسن في ميزان الإسلام)[16]

*قوله تعالى : « فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5)»[17] ، وفي هذا قال سيد قطب –رحمه الله–: (وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة. فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب)[18]

–عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– [19] قال: (كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده عن الخط الأوسط فقال(هذه سبيل الله)، ثم تلا هذه الآية: « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153) » (الأنعام 153) [20]

قال الحافظ ابن حجر [21]رحمه الله تعالى: (أوسط الجنة أعلى الجنة. والمراد بالأوسط هنا. الأعدل والأفضل.كقوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا »[22].

وقوله صلى الله عليه وسلم: « البركة تنزل في وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه » [23].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » [24]

فهذه بعض الأحاديث التي جاء فيها لفظ (الوسط) بمعنى الأعدل والأفضل، أو كما جاءت واردة الوسط بين شيئين.

جـ – اصطلاحا: وهنا نتطرق إلى مفهوم الوسطية من خلال أقوال العلماء والفقهاء منها:

–الوسطية عند القرضاوي: [25]"يعبر عنها (التوازن) و(الاعتدال) ويعني بها (التوسط أو التعادل) بين

---

15) هو سيد قطب إبراهيم ولد (1906م) أعدمه جمال عبد الناصر مساء يوم الأحد 1966/08/28م من أشهر مؤلفاته "في ظلال القرآن". انظر :سيد قطب الشهيد الحي، لصلاح الخالدي .51

16) انظر : في ظلال القرآن (2/971)

17 سورة العاديات الآية 05.

18) انظر : المرجع السابق (6/3958)

19) هو جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي من أهل بيعة الرضوان شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة مات رضي الله عنه سنة ثمان وسبعين وقيل غير ذلك.، انظر الاستيعاب (2/109.110)

20) أخرجه البخاري كتاب الجهاد و السير باب درجات المجاهدين (3/266) رقم الحديث (279)

21) هو أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ولد في القاهرة 773 هـ أصبح حافظا الإسلام في عصره توفي بالقاهرة (852ه)، انظر الأعلام (1/178.179) و الضوء اللامع (1/36)

22) فتح الباري كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين (6/16)

23) رواه الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في كراهية الأكل في وسط الطعام (4/229 رقم 1805)

24) أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب في حسن الخلق (4/ 253 رقم 4800)

25) هو يوسف عبد الله القرضاوي ولد في 9 سبتمبر 1926م فقيه وعالم دين مصري ورئيس الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين .

طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه. ويطغى على مقابله ويحيف عليه)" [26].

كما يقول أيضا: ووسطية الأمة الإسلامية إنما هي مستمدة من وسطية منهجها ونظامها. فهو منهج وسط للأمة، منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط. أو من الغلو والتقصير [27].

-والوسطية عند الدكتور وهبة الزحيلي [28]في كتابه (الوسطية مطلبا شرعيا وحضاريا) بمعنى الاعتدال قال رحمه الله: (الوسطية في العرف الشائع في زماننا تعني الاعتدال في الموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام بالذات دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين ولا تطرف أو شذوذ في الاعتقاد ولا تهاون ولا تقصير ولا استكبار ولا خنوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج. ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى. ولا حقوق الناس. وهو معنى الصلاح والاستقامة)[29].

- وذكر الشيخ الطاهر بن عاشور [30] الوسطية تحت عنوان(السماحة)، وقد خصص لها فصلا كاملا في كتابه (مقاصد الشريعة. وعرف السماحة بقوله: (سهولة المعاملة في الاعتدال فهي وسط بين التصنيف والتساهل، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط) [31].

نجد بعد الاستعراض السريع لمصطلح الوسطية من خلال تتبع اللفظة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية إنها تعني العدل الذي وصف به الله امة الإسلام حيث جعلها امة وسطا في كل الأمور .

ثانيا./حياة الشيخ محمد العربي ابن التباني السطيفي الجزائري.

أ/اسمه ونسبه ومولده

هو الإمام العالم المحدث الفقيه محمد العربي بن التباني، ولد برأس الوادي شرق القطر الجزائري سنة 1315ه/1898م، يكنى بأبي عبد الله رغم إنه لم يترك خِلفة، وله أسماء عدة مستعارة أشهرها أبو حامد مرزوق، الذي اخرج به أغلب كتبه، من عائلة عريقة اكتسب منها فنون العلم والأخلاق[32].

ب/تعليمه وأهم محطات حياته.

---

26) يوسف عبد الله القرضاوي ،كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، دار الشروق ،القاهرة ،ص13.

27) المرجع نفسه (16)

28) هو الفقيه الأصولي المفسر الأستاذ الدكتور وهبة بن مصطفى بن وهبة الزحيلي و كنيته أبو عبادة ولد في دير عطية (1932م) وتوفي (24 شوال 1436م/9 آب 2015م من أهم مؤلفاته «أخلاق المسلم » و « من حصاد السنين » (؟)

29) الوسطية مطلبا شرعيا حضاريا : وهبة الزحيلي (5)

30) هو محمد الطاهر بن عاشور ولد بتونس (1879م) من كبار علماء الزيتونة من أشهر مؤلفاته التحرير والتنوير ومن أشهر تلاميذه عبد الحميد بن باديس توفي (1973م) انظر عبد الحميد بن باديس العالم الرباني و الزعيم السياسي (32).

31) مقاصد الشريعة : الطاهر بن عاشور (188-189)

32 محمد العربي بن التباني ، إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن الكريم والسنة النبوية من فضائل الصحابة ، المكتبة المكية، ط1، 1422ه/2002م، ص08.

كان تعليمه الأول على يد والديه حيث حفظ القرآن الكريم صغيرا، وتلقى مبادئ العلوم العربية عن خاله وعن الشيخ عبد الله بن القاضي اليعلاوي ، وبعد أن شب رحل إلى تونس فمكث بها أشهرا درس خلالها علوم الشريعة والأدب، بعدها سافر إلى الحجاز والشام ومصر حيث أخذ ذهنه يتفتح على مختلف صنوف العلم حيث كانت المدينة المنورة آخر محطاته العلمية فدرس بها على يد ثلة من المشايخ، بعدها تولى مهنة التدريس بمدرسة الفلاح التعليمية، فكان تكوينه تكوينا دينيا ولغويا وأدبيا تجسده الكثير من الكتب التي درسها، بعدها رحل إلى شرق آسيا حيث زار أغلب دويلاتها وكانت له صداقات كثيرة من خلال احتكاكه بالجاليات المسلمة، وفي عام 1343ه/1924م رحل إلى أندونيسيا وقابل السلطان إسكندر الذي شمله برعايته تقديرا لعلمه، فأطلعه على مجلة الشبان المسلمين التي تصدر من القاهرة فكتب فيها الشيخ مقالا يحذر فيه من لبس "البرنيطة" وزواج المسلمة بالكافر،كما قام الشيخ برحلات أخرى عديدة منها إلى فلسطين والشام عام 1372ه/1952م ثم إلى آسيا وأندونيسيا والهند وجزر الخليج العربي، فاستمد منها تجارب وخبرات وصنوفا من العلوم فاستطاع أن يبني لنفسه شخصية علمية متميزة بإلمامها بمختلف الجوانب، يعد الشيخ بن التباني رائدا من رواد النهضة في القرن العشرين فهو الأديب والمعلم والواعظ والمرشد، كان همه إظهار الحق والتنبيه إلى الخطأ، فتميز بمنهجه المتزن في التأليف[33] .

شيوخه: أخذ الشيخ العلم على يد ثلة من العلماء والمشايخ منهم: عبد الله بن القاضي اليعلاوي، والشنقيطي، والشيخ حمدان بن أحمد الونيسي، والشيخ محمد الفاسي، والشيخ المكي بن عزوز التونسي ، والشيخ عبد الرحمن دهان والشيخ الكتاني والشيخ النبهاني وغيرهم رحمهم الله تعالى أجمعين.

–وقد شارك العلماء في التدريس بالمسجد الحرام وفي رواق باب العمرة إضافة إلى تدريسه في المسجد النبوي[34].

وفاته: بعد مسيرة علمية حافلة، انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر صفر سنة 1390ه/1970م بمكة المكرمة ودفن بمقابر المعلاة بجوار قبر السيدة أسماء

المحور الأول: أسس و معالم الوسطية عند الشيخ محمد العربي بن التباني في التأليف، وأثرها في نشر العلم

للشيخ مصنفات كثيرة تميز بها عن غيره بمبدأ أشار إليه في أحد كتبه، ذلك أنه لا يكتب او يؤلف إلا من أجل تصحيح الأخطاء أو الرد على المخالفين حيث يقول: "لا رغبة لي بالتأليف مالم يكن لإحقاق حق وإبطال باطل، أو دفاع عن الإسلام ورجاله العدول"[35]، وقد تمكنت من الحصول على بعض مؤلفاته فقط؛ لعدم توفرها إلكترونيا، بالرغم من غزارة الآثار التي تركها وهذه جملة من بعض العناوين التي ألفها، والتي أشار

33 المرجع نفسه ص 09.
34 المرجع السابق ص 6.7.8 .
35 المرجع نفسه، ص12.

إليها في سيرته الذاتية في كتاب "إتحاف ذوي النجابة"[36]:

- إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات.
- مختصر تاريخ دولة بني عثمان.
- براءة الأشعريين من عقائد المخالفين طبع في دمشق سنة 1967م[37].
- التعقيب المفيد من هدي الزرعي الشديد.
- النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات للخضري الطبعة الأولى في 1358ه-1939م [38]،
- تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعاليق الكوثري بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية 1984م.
- محادثة أهل الأدب بأنساب وأخبار جاهلية العرب
- حلبة الميدان ونزهة الفتيا في تراجم الفتاك والشجعان
- إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة.
- إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات صدرت الطبعة الأولى في 1950م.
- خلاصة الكلام في المراد بالمسجد الحرام[39].
- اعتقاد أهل الإيمان بنزول المسيح ابن مريم عليه وعلى نبينا السلام آخر الزمان صدرت الطبعة الأولى في 1950م.

إن هذه المؤلفات تعكس ثقافة الشيخ الواسعة بحيث تختلف دواعيها ودوافع كتابتها، فقد تميز الشيخ بمنهجه في التأليف حيث ساعده تمكنه اللغوي والتاريخي مع رصيده الديني والفكري، وقد ذكر في مقدمة كتابه *محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب :"لا أميل إلى التأليف كثيرا عملا بنظرية القائل ما ترك الأول للآخر شيئا، وكادت هذه النظرية أن تكون صحيحة منطقية عندي على العلوم العربية والشرعية.."[40]، حيث امتدحه احد طلبته في قوله[41] :

من كان يعتز في علم وفي أدب بشيخه فانا أعتز بالعربي
شيخ تمكن فيه الفضل فانبثقت أنواره فحكت سيارة الشهب

36 محمد العربي بن التباني ، إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن الكريم والسنة النبوية من فضائل الصحابة ،المكتبة المكية، ط1، 1422ه/2002م، ص،12.

37 خير الدين شترة ، الشيخ محمد العربي بن التباني الجزائري ومنهجه في قراءة التاريخ الإسلامي ، جامعة المسيلة ص288.

38 محمد العربي بن التباني، االنصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات للخضري، ط1، 1358ه-1959م.

39 محمد العربي بن التباني، خلاصة الكلام فيما هو في المراد بالمسجد الحرام، مصر، مكتبة ومطبعة الباني الحلي وأولاده، 1369ه-1950م.

40 محمد العربي ، بن التباني، محادثة أهل الأدب بأخبار وانساب جاهلية العرب ،ص3.

41 محمد العربي بن التباني، إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن الكريم والسنة النبوية من فضائل الصحابة ، المكتبة المكية، ط1، 1422ه/2002م، ص19.

فانظر إلى سفره هذا تجد عجبا عقدا يؤلف بين الدر والذهب
أراد نصرة أصحاب الرسول به فجاء سيفا عليه طابع الكتب

فقد كانت جل كتابات الشيخ متميزة بطابع النقدي المتزن الذي سعى من خلاله إلى خدمة الإسلام وتوعية الناشئة بمناقبهم وتاريخهم المجيد، ودعوتهم إلى الاعتناء بالسلف وترك من يدانيهم ، حيث كان الشيخ يحارب المغالين وينتقدهم بشدة يقول : " وقد وقفت على مقالة لكاتب إيراني يدعى حيدر علي منشورة في مجلة تسمى "نور دانش" عدد 62،كتبها على زعمه بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإذا فيها من الغلو والتناقضات في أبي الحسن رضي الله عنه ، ووصم سادات الصحابة والافتراء عليهم مالا يستسيغ قلم من له أدنى مسكة من عقل ودين كتابته"[42].

* ولعل أهم مؤلفاته التي تظهر منهجه الوسطي في الرد على المغالين هو كتابه "تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعليق الكوثري" وهذه قراءة سريعة لأهم محاوره.

ا/ منهج الوسطية في فكر الشيخ بن التباني ورده على المغالين من خلال كتاب " تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعليق الكوثري".

– يعد من الكتب التي دافع فيها الشيخ عن المذهب المالكي، حيث تعرض هذا المذهب إلى حملة نقدية من طرف الشيخ زاهد الكوثري، وهو شيخ الإسلام سابقا بالديار العثمانية، فقد تحامل على الأئمة وأتباعهم من غير الحنفية، فحاول الشيخ الرد على الشبهات التي أثارها هذا الأخير، والذي أشار في طبعته الأولى في مقدمة الكتاب إلى دوافع تأليفه التي عرض فيها أهم محتويات الكتاب، فبعد اطلاعه على الرسائل الثلاث للكوثري:

* التأنيب في رد أكاذيب الخطيب.
* إحقاق الحق في الرد على رسالة مغيث الخلق.
* بلوغ الأماني في ترجمة الإمام محمد بن الحسن الشيباني.

كذلك بعد اطلاعه على مقدمة لكتابه "نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية" أشار الشيخ قائلا : "فوجدت الغاية التي يرمي إليها في رسائله الأربع واحدة، هي التعصب للإمام أبي حنيفة وأتباعه، ومن لازم ذلك حضرته، الغض من أئمة الإسلام وعلمائه"[43].

تتجلى معالم الوسطية في منهج الشيخ من خلال تأليفه هذا الكتاب في رده على التعصب الذي لاحظه على الكوثري في مؤلفاته حيث يقول الشيخ :"لم اكتب إلا على أهم المباحث في الرسائل الأربع، وعلى بعض تعاليقه وقد سقت كلامه برمته في كل بحث تعقبته فيه ليظهر للقارئ جلية أمره فيعذرني ..."[44]، حيث بين الشيخ

42 المرجع نفسه ص24.
43 محمد العربي بن التباني، تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعليق الكوثري ، شركة مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط1، 1367ه–1948م ص 2.3.
44 المرجع نفسه ص 3.

هدفه وراء هذا النقد للكوثري وهو حرصه على تصحيح المفاهيم الخاطئة وعدم تقديس كلام البشر لأنه معرض للزلل والخطأ ، فكان هدف الشيخ هو إحقاق الحق واعتبر التعصب ضربا من الجنون لقوله :"..إنه لا يؤمن على العلم وإنه متعصب جدا ...."، فتناول المؤلف نشأة المذاهب كما افاض في عرض مزايا المذهب المالكي ولعل أهم النقاط التي ناقشها وانتقدها الشيخ في كتابه هذا والتي تظهر بوضوح رفضه التعصب والتعلق بأقوال السابقين وتقديسها، رغبة منه في نفع الأمة الإسلامية.

– مناقشة "الكوثري" في إطراء الزيعلي وتحامله على أعيان من الشافعية":

انتقد الشيخ بن التباني أسلوب الكوثري الملتوي في الثناء على الزيعلي فوصفه بالتعصب المذهبي حيث ميزه عن باقي العلماء من خلال ترجمة البنوري وشرحه لكلام الكوثري، الذي فيه بغي على الحافظ ابن حجر وغيرهم من الشافعية، حيث استدل الشيخ بن التباني على هذا بقوله :" قال في صدر مقدمة " نصب الراية " مثنيا على المحدث الزيعلي ثناء بليغا راميا غيره من الحفاظ بالجهل والتقصير في البحث والتعصب المذهبي ما نصه : فإذا وجد المتفقه من هو واسع العلم غواص لا يتغلب عليه الهوى بين حفاظ الحديث فليعض عليه بالنواجذ فان ذلك الكبريت الأحمر بينهم ، والحافظ الزيعلي هذا جامع لتلك الأوصاف حقا ولذلك أصبحت أصحاب التخاريج بعده عالة عليه فدونك كتب البدر الزركشي وابن الملقن وابن حجر وغيرهم من الذين يظن بهم أنهم يحلقون في سماء الإعجاب ويناطحون السحاب، وقارنها بكتب الزيعلي حتى نتيقن صدق ما قلنا بل إذا فعلت ذلك ربما تزيد وتقول أن سدى تلك الكتب ولحمتها كتب الزيعلي إلا في التعصب المذهبي اه.[45] ، فرد الشيخ بكل وسطية قائلا : " إن صح ما قاله في أن أصحاب التخاريج الذين ذكرهم من الشافعية عالة على الزيعلي فكيف هذا ، والزيعلي نفسه كثير من مشايخه الذين استفاد منهم شافعية وغيرهم وكتابه هذا منقول عن الشافعية والمالكية والحنابلة ، ولازال الناس ينقل المعاصر عن معاصره والمتأخر عن المتقدم، ولا ينقص ذلك من قيمة وقدر الناقل ؟ فإن طرزه بالعزو إلى المنقول عنه كما فعل الزيعلي في تخريجه فقد أدى أمانة العلم كاملة ثم إن هذه دعوى وما المانع أن يكون الزيعلي قد استمد في تخريجه من الزركشي وابن الملقن والحافظ العراقي وهم معاصروه "[46] داعيا الشيخ بهذا إلى الموازنة وأنه لا فائدة ولا مصلحة تعود على الأمة الإسلامية من وراء هذا التعصب، وأن المسلمين بحاجة إلى علماء ذوي إخلاص في الدين وليس الادعاءات التي تميز عالما عن آخر وتتعصب لمذهب دون مذهب، مثل ما فعل الكوثري في تقديسه للزيعلي، وطعنه في بعض سادات علماء الحجاز، وادعائه تلمذة الإمام الليث لأبي حنيفة فقط لأجل تفضيل واستحسان المذهب الحنفي، حيث توسع في الدعاوى الباطلة بشتى الأساليب الالتوائية وذكر الشيخ الباقلاني وأنه طعن في الجويني والغزالي والفخر الرازي .

45 المرجع نفسه ص 6.

46 محمد العربي بن التباني ، تنبيه الباحث السري الى مافي رسائل وتعليق الكوثري ، شركة مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط1، 1367ه–1948م ص6.7.

حيث حاول إثبات أن يحي بن معين ليس بحنفي ونفى رميه بالتعصب وطعنه في جماعة أبي حنيفة إلى غير ذلك من النقاط الكثيرة التي أشار إليها الشيخ في كتابه هذا محاولا نقد الأخطاء وتصحيح المفاهيم وكشف التعصب المذهبي وأقرّ ذلك في نشر الغلو والتطرف في الأجيال الناشئة من خلال الأخذ دون تمحيص أو تدقيق أو تمعن من خلال نقاط أشار إليها في كتابه حيث تطرق إلى ما يلي :

-التعصب المكشوف

-التعصب في بعض متفقهة الشافعية اخف منه في متعصبة الحنفية وقدم أمثلة على ذلك.

- شدة الوعيد فيمن يتكلم بالكلمة ولا يلقي لها بالا أو لا يرى بها باسا، بتقديم أمثلة على بعض الغلاة.

- الأساليب المتلونة التي يستخدمها الغلاة للطعن في المخالفين، وأشار إلى أسلوب الكوثري في الطعن في نسب الإمام الشافعي، وقد اعتبر الشيخ هذا الأسلوب من الجاهلية.

أما بالنسبة للمالكية فقد اعتبر أن كثرة كتبهم تدل على أن مذهبهم لا يقل عن أوسع المذاهب محدثين وفقهاء ومفسرين فاستند على كلام ابن خلدون في تحقير المالكية عموما والمغرب والأندلس خصوصا. متجاوزا بذلك مناسبة وحال ابن خلدون آنذاك، فرد عليه الشيخ ببطلانه، ذلك لتوسع المغاربة والأندلسيين وإلمامهم بجميع العلوم، وغيرها من النقاط التي تطرق اليها الشيخ في كتابه للرد على ما جاء في رسائل الكوثري للكشف عن مواطن التدليس والتنبيه إلى خطورة التعصب وما ينجم عنه من شتات الأمة الإسلامية.

ب/ كتاب إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة:

عمد المؤلف من خلال هذا الكتاب إلى الرد على الطاعنين في الصحابة الكرام من خلال إيراد آيات وأحاديث تنوه بفضلهم جميعا وتشهد بعلو منزلتهم ، فساق المؤلف حوالي سبع عشرة آية مع شرحها وكذا مجموعة من الأحاديث التي تروي فضائل الصحابة حيث تناول فضلا كاملا تحدث فيه عن الطاعنين والمنتقصين من مكانتهم جميعا عند الله تعالى، حيث رسم لنا منهج أهل الوسطية الذي يقضي بعدم الخوض في الخلافات التي من شأنها أن تفكك وتشتت الأمة الإسلامية ، وختم بالحديث عن شرف الصحابة وفضلهم على الأمة من خلال استناده على الأطر المرجعية المقدسة، وقد تميز هذا الكتاب بأسلوب الشيخ العلمي الدقيق.

ومن خلال اطلاعنا على بعض كتبه أيضا يتضح لنا منهج الشيخ الذي اتسم بالجرأة، وأنه يأبى الإمعية، وأنه كان صاحب عقلية علمية بحق، يغربل الأفكار التي يقرأها مطبقا عليها القواعد الدقيقة حرصا منه على الأمانة العلمية، وإخلاصا للدين الإسلامي وللأمة الإسلامية، فقد استمد من التراث العربي الإسلامي عبر عصوره المختلفة واحتكاكه بالعلماء وطلبة العلم من خلال رحلاته العلمية ثقافة واسعة وذكاء خارقا جعله يميز بين الصحيح والخطأ، فأصبحت دروسه وفتاويه مدرسة روحية وعلمية، تربى عليها العديد من طلبة العلم حيث يقول عنه تلميذه يوسف عبد الرزاق: "وأن من ألمع علمائها الأعلام الذين طلعوا في سمائها بدورا ، وفاضوا في أرجائها بحورا ، ورفعوا راية العلم عالية خفاقة ، شيخنا العلامة الفقيه الأصولي المحدث، المفسر، اللغوي،

المؤرخ، الثقة، أبا عبد الله السيد محمد العربي بن السيد التباني"[47].

المحور الثاني : أسس ومعالم الوسطية عند الشيخ بن التباني

اتسم منهج ابن التباني المتزن والوسطي بجملة من المعالم والأسس يمكن أن نلخصها في ما يلي:

أولا : الالتزام و التمسك بثوابت الأمة الإسلامية:

وهذا الالتزام يتجلى في قوة روح الانتماء إلى الإسلام لديه وتشبعه بالثقافة الدينية التي اكتسبها من نشأته التعليمية الأولى في مسقط راسه مستمدة من التراث الأصيل، ثم ما لبث أن طعمها بثقافة مشرقية اكتسبها من خلال رحلاته المتنوعة، فأنتج وأبدع مؤلفات عدة يغلب عليها الطابع المتزن الهادف إلى خدمة الإسلام ونشر تعاليمه، وهذا ما تلمسته من خلال اطلاعي على بعض كتبه، فقد كان يسعى دائما إلى تصحيح الأخطاء فتميز أسلوبه بالتدقيق والتمحيص والقراءة والتثبت ثم الرد والنقد مستندا على العقل والمنطق، ليخرج إلينا عملا مستوفيا كل الجوانب مثل ما حدث مع كتابه "النصيحة والاستدراكات" الذي طبع لأول مرة عام 1939م ردا على محاضرات الخضري بعنوان "تحذير العبقري من محاضرات الخضري" فعدله في طبعة أخرى حيث استخدم نفس المنهجية مع باقي المؤلفات، وهذا راجع إلى حرصه على التمسك بثوابت الأمة الإسلامية حيث يعتبر هذا النمط من أنماط الكتابة عند المسلمين هو المعتبر والأليق بالراسخين في العلم.

ثانيا: الرد على المخالفين المتشددين:

أولى الشيخ اهتماما واسعا بقضية تصحيح المفاهيم الخاطئة، حيث يقول نجده يقول في بعض كتبه:"أما في عصرنا هذا فهم يتبعون ويقدسون كل دجال وكل من يطعن في صميم الإسلام وفي رجاله صريحا "[48]، ولعل هذا كان الدافع الأول للتأليف، حيث كان يرى أنه لابد من مراعاة المفاهيم الشرعية والفقهية لأن أخذها بالخطأ ينعكس سلبا على الإسلام عموما، ويساهم في نشأة الفكر المتطرف والمتشدد ، ونظرا لمنهجه الوسطي وفكره المتزن فقد كان يسعى لتنبيه النشء لهذه القضية المهمة وكان يدعوهم إلى التأكد من المصادر الأصلية للعلوم، وعدم تقديس الأشخاص لأنهم معرضون للخطأ، حيث ألف في ذلك عدة كتب من بينها الكتاب الذي اشرنا إليه سابقا، فبالرغم من احترامه للكوثري إلا أنه يمقت فكره المتشدد وتعصبه لمذهبه الحنفي، حيث يقول موضحا خطر الغلو على الأمة الإسلامية: "والسنة الغراء قد سلمها إلينا جيلا بعد جيل وطبقة بعد طبقة أئمتنا وعلماؤنا الذين لا نحترمهم كما يجب لهم دينا ومروءة بيضاء نقية، وقد هيأتها لنا المطابع، فما علينا إلا العمل بها. قال تعالى: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ". التوبة الآية 105.

ومن تتبع تاريخ الإسلام يجد جملة المصائب على المسلمين النزاعات المذهبية من المتغالين في متبوعيهم ،

47 ابن التباني محمد العربي ، تحذير العبقري من محاضرات الخضري أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط،1،1374هـ، ص 22..

48 خير الدين شترة، الشيخ محمد العربي التباني الجزائري ومنهجه في قراءة التاريخ الإسلامي، جامعة المسيلة ص289.

والأئمة رضي الله عنهم يبرؤون من كل متغال فيهم فوق ما أعطاهم الشرع الشريف من الاحترام، وكانوا يحفظون بعضهم بعضا بظهر الغيب بالفضيلة قولا وفعلا كما هو مسطر في مناقبهم وهكذا العلماء بعدهم من جميع المذاهب يستفيد بعضهم من بعض، ويعترف بعضهم لبعض ويتتلمذ هذا لهذا ويتناصفون عند المناظرة والمذاكرة غيبا ومشهدا ،"وقد تفاءل الشيخ بوجود مخلصين لهذا الدين الحنيف حيث يضيف :"ولعلنا لم نعدم هذا الطراز في زماننا هذا وإن قلّ، فإن الأمة الإسلامية على خير إن شاء الله تعالى"[49].

ثالثا: نشر العلم برؤية وسطية بين الناس:

يقول الشيخ بن التباني :"...فأين العلم والعلماء اليوم؟ فقد أقفرت منهم الديار وانتشرت الفوضى في المسلمين في كل شيء، فلا حول ولا قوة إلا بالله" [50]، يظهر لنا من خلال هذا القول مدى انشغال الشيخ بقضية نشر العلم، فقد كان صاحب مشروع إصلاحي جمع فيه بين وعيه الكامل بالواقع المحيط به والأحداث التي كانت تجري في عصره من نزاعات وصراعات، وخبرته التي اكتسبها من رحلاته العلمية الكثيرة واحتكاكه بالعلماء، وكذا من خلال تدريسه في مساجد الحرم المكي وفي مدرسة الفلاح وغيرها من المدارس ساعيا إلى نشر العلم الصحيح وغرسه في الأجيال الناشئة، بالرغم من أنه كان يرى ان الوسيلة المثلى لنشر العلم هي الكتابة والتأليف، من خلال اعتماد أسس وقواعد النقد الصحيح الذي لا يتناقض مع مبادئ الدين الإسلامي الوسطي، وهذا نظرا لقوة حرصه على صورة الإسلام كان ينصح طلابه بحسن اختيار المناهج والأخذ من المصادر الموثوقة حتى لا يأخذ العلم مشوها مدنسا، فينتج عن ذلك فئة المتشددين والروافض وما يصحبها من تيارات الغلو والتطرف.

رابعا: الوسطية في التجديد:

بما أن المجتمع دائم الحركة، فإن ما كان صالحا بالأمس قد لا يصلح اليوم، هذا ما دعا إليه الشيخ ابن التباني في رسائله ومؤلفاته، فقد كان يكتب فقط لإيجاد حل أو إضافة أو تجديد، فاتسمت كتاباته بالإبداع والإتيان بالجديد دون الإخلال بالقديم، وهذا راجع لفكره المتزن فقد كانت سائر كتاباته ردودا يقصد منها تصحيح خطأ أو تنبيهات بغرض الإضافة وتنوير القارئ بما غفل عنه، وهذا ما لمسناه في كتاب "إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن الكريم والسنة النبوية من فضائل الصحابة"، حيث حاول الرد فيه على الطاعنين في الصحابة، وانتقد الرافضة من خلال الحديث عن فضل الصحابة والخلفاء الأربعة حيث يقول: "فقد عن لي منذ سنين خلت لما كتبت نبذة يسيرة على محاضرات الخضري في نقد الصحابة وبعض الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ...أن أكتب رسالة تتضمن فضائل الصحابة في القرآن والسنة"[51] .

حيث فتح الشيخ الباب لإكمال الأفكار والتقاط الشاذ من أقوال المتقدمين وعدم الأخذ بكل ما هو موجود

49 محمد العربي بن التباني، تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعليق الكوثري ،ط،1،1367، 1948م، ص07
50 المرجع نفسه ص7.8..
51 المرجع نفسه ص29

دون إمعان النظر والتدقيق في محتواه ومرجعه، ونظرا لمنهجه المتزن ووسطيته في التفكير فقد دعا إلى اتباع الراسخين في العلم المتثبتين في فهم النصوص، والعودة إلى السلف الصالح حيث يقول :"ولأجل ذلك قال الإمام الحافظ أبو زرعة الرازي رحمه الله: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق وما جاء به حق ، وانما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"[52] .

خامسا: مناقشة القضايا بطرح شرعي مؤيد بالحجج والبراهين المقنعة:

فقد كان الشيخ يرد على خصومه بنصوص وأدلة مستمدة من الأطر المرجعية المقدسة، ولعل أهم ما نستشهد به في هذا المقام هو رده في كتاب النصيحة والاستدراكات على كتاب "المحاضرات" على الطاعنين في الصحابة بأدلة توجب نزاهتهم وبراءتهم فقد دعا الشيخ إلى التمسك بثوابت الأمة والعودة إلى السلف الصالح، دون تشدد أو غلو حيث يقول :"فقد تضمن كتاب الله جميع مصالح الخلق الدينية والدنيوية إجمالا وتفصيلا عموما وخصوصا، والنبي صلى الله عليه وسلم بين لنا جميع ما شمل عليه كتاب الله بطريق العموم والإجمال، قال تعالى:﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)﴾[53] النحل الآية 44. "[54] .

سادسا: تبيين مخاطر الانحراف الفكري:

يقول الشيخ :"لا فائدة ولا مصلحة تعود على الإسلام والمسلمين اليوم من هذا الهراء، ولا خير ولا فائدة ولا مصلحة تعود على الأمة الإسلامية وعلى السنة الغراء اليوم من هذا الهراء ، فالإسلام لا تزال رايته قائمة إلى قيام الساعة برغم ضعفه وقلة المتمسكين به"، حيث نبه الشيخ إلى مخاطر الانحراف الفكري وما ينجر عنه من انتشار لظاهرة الغلو والتطرف من خلال دعوته إلى التزام المنهج الذي تميز به الإسلام وهو الوسطية والاعتدال، وقد عالج قضية الغلو في كتاب "تحذير العبقري من محاضرات الخضري" حيث يقول :" ومن العجب أني سمعت من بعض طلبة العلم السودانيين الثقات أن الخضري هذا لما كان قاضيا كان يدّعي النسبة إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم العلويين، وما سمعنا قط ولا رأينا في كتب الطبقات والتاريخ أن علويا صار ناصبيا، إما أمويا صار شيعيا فقد وجد في واحد وهو أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ...

ومن مصائب علم الرواية والتاريخ أن يصير الخضري هنا قدوة ومرجعا لكل متسور على التأليف في التاريخ "[55].

---

52 محمد العربي بن التباني ، إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن الكريم والسنة النبوية من فضائل الصحابة ،المكتبة المكية، ط1، 1422ه/2002م،ص28.

53 سورة النحل الآية 44.

54 المرجع نفسه ص 29

55 محمد العربي بن التباني ، تحذير العبقري من محاضرات الخضري أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط،1،1374ه، ص ؟.

فقد رأى الشيخ ان الاعوجاج الفكري لا يمكن السكوت عنه، فهو يعي جيدا بأن العلم أمانة لذلك لابد من تصحيح الأخطاء التي يقع فيها السابقون، وعدم تقديسهم والأخذ منهم أخذاً مطلقا، ولعل رفض الشيخ تدريس كتاب الخضري إلا بعد تصحيحه دليل على عقله المتزن، وحرصه على نشر العلم بكل أمانة، وهذا لنقاء سريرته وصفاء هدفه وقمة إخلاصه في نشر العلم، والدعوة إلى جادة الصواب.

سابعا : القراءة الواسعة والدقة التامة في فهم آراء الغير وعدم التعصب للرأي :

من خلال اطلاعنا على بعض كتبه تظهر لنا الدقة التي كان يكتب بها الشيخ من خلال إلمامه المتعمق بموضوعه والتحقق من مراجعه ومصادره معتمدا على الأدلة العقلية والنقلية حتى لا يقع في الأخطاء وسوء الفهم، فقد كان الشيخ لا يأخذ بآراء الغير على أنها حقيقة مسلم بها، حيث لمسنا من خلال كتاباته أنه يتعامل مع مختلف النصوص والكتابات على أنها بنيت بشكل غير سليم أو ما يسمى أكاديميا بالشك المنهجي، فقد اعتمد في كل رسائله على المصادر الأصلية مع وضع الإطار التاريخي والمنهجي لمؤلفيها ، ويظهر ذلك من خلال قوله: "حاجة المسلمين اليوم إلى زعماء علماء ذوي إخلاص ودين يجمعون رابطتهم ويوحدون صفوفهم"[56] ولعل أهم ما ميز بن التباني عن غيره هو صراحته المطلقة في عرض وتوضيح النتائج التي توصل إليها .

ثامنا- الموضوعية والبعد عن التحيز:

إن من معالم الوسطية في فكر الشيخ: تناوله للأفكار والمقولات بكل موضوعية دون تعصب لرأي على حساب رأي آخر ساعيا إلى نشر العلم الصحيح والتعديل، وهذا ما يظهر في مؤلفاته حيث يقول في تفسيره لقوله تعالى: «و «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (143) [57] » (البقرة : 143)،

"والمعنى كما جعلت قبلتكم خير القبل، وجعلتها متوسطة بين المشرق والمغرب، جعلتكم خير الأمم وسطا بين الغلو والتقصير، لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية، ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد زنا، فأنبأنا ربك تعالى بما أنعم علينا من تفضيله لنا باسم العدالة، وتوليه خطة الشهادة على جميع الناس، فجعلنا أولا مكانا وإن كنا آخرا زمانا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "نحن الآخرون السابقون "..."[58] فقد كان الشيخ يلجأ إلى نقد وتمحيص مؤلفه حتى بعد طبعه فيعمل على تعديله وتغييره وكأنه ينشد الكمال في جهده التأليفي، وفي بعض الأحيان يضطر حتى إلى تغيير العنوان هذا نتيجة لبعده عن التحيز من خلال المواضيع التي كان يكتب فيها فقد تطرق إلى جوانب مختلفة منها العقدي والفقهي البحت ومنها الأدبي والتاريخي الخالص ومنها ما هو مزيج بينها فتميزت كتبه بالموضوعية الهادفة إلى إشاعة العلم .

الخاتمة:

56 محمد العربي بن التباني ، تحذير العبقري، الجزء الثاني ، ص07

57 سورة البقرة، الآية 143.

58 محمد العربي بن التباني، إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن الكريم والسنة النبوية من فضائل الصحابة ،المكتبة المكية، ط1، 1422ه/2002م،ص32.

وتشمل أهم النتائج التي احتوى عليها البحث.

النتائج:

- الوسطية عند بن التباني سمة بارزة فكريا ومنهجيا.
- **تعتبر جل مؤلفات الشيخ ردودا وتوضيحات وانتقادات تتسم بالاعتدال والموضوعية والتوسط.**
- **أشاع الشيخ العلم بدروسه الحرة، عبر مساجد الحرم المكي، وعدد من المدارس الشرعية في المملكة.**
- أهم سلاح تبناه الشيخ في تحقيق غايته النبيلة في الدعوة إلى الله ونشر العلم هو: التأليف والكتابة بمنهج العالم الموضوعي المتزن في أحكامه وردوده عموما.
- سعى الشيخ جاهدا إلى الدعوة إلى الله، ونشر العلم دعوة قوية صريحة، فقد نشر في ثنايا ما ألفه أسس وقواعد النقد والخلاف، منبها أهل العلم إلى عدم إغفال التوسط والاعتدال في الكتابة ابتداء أو الرد على المخالف وضرورة التقيد بأبجديات التفكير.
- **اتسمت كتابات الشيخ بالإبداع والإتيان بالجديد، حيث كان صاحب عقلية علمية تأبى الإمعية، يغربل الأفكار التي يقرأها قبل أن يسلّم بها.**
- **تعتبر آثار الشيخ مدرسة روحية وعلمية يتربى على نهجها الأجيال.**
- **نشأة الشيخ العلمية في المشرق ساهمت كثيرا في تنويع آثاره وتشعب الموضوعات التي تطرق اليها.**
- من أبرز الأسس والمعالم التي قام عليها منهج الشيخ، الالتزام والتمسك بثوابت الأمة والنقد الهادف كخطوة أولى وأساسية لإحداث عملية التغيير والنهضة.
- جمع الشيخ بن التباني بين التمسك بالثوابت في الأمور الشرعية وبين الأحوال والمتغيرات الواقعية.
- **تنبيهه المبكر والسابق لزمنه على أثر الوسطية في محاربة التطرف كخطوة فعالة للانفتاح والتغيير.**

قائمة المصادر والمراجع:

- الأعلام :خير الدين الزركلي بيروت دار العلم . 1389هـ.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب :أبي عمر يوسف بن عبد البر تحقيق:محمد علي محمد البجاوي القاهرة . مطبعة نهضة مصر.**
- التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر.تونس.المغرب) أحمد عبيد، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع.2010م
- **المعجم الوسيط:مجمع اللغة العربية،إسطنبول،تركيا،المكتبة الإسلامية،ط3**
- **المنجد في اللغة : بيروت،دار المشرق،ط2، 1986.**
- الوسطية في الإسلام : محمد عبد اللطيف الفرفور، بيروت، دار النفائس، ط2 ، 1414 ه/ 1993 م
- **الوسطية مطلبا شرعيا وحضاريا : وهبة الزحيلي، الكويت، سلسلة الأمة الوسط 1،المركز العالمي للوسطية،ط2 ،2011م.**
- **إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن الكريم والسنة النبوية من فضائل الصحابة، محمد العربي بن التباني ، المكتبة المكية، ط1، 1422ه/2002م.**

– – الشيخ محمد العربي بن التباني الجزائري ومنهجه في قراءة التاريخ الإسلامي، خير الدين شترة ، جامعة المسيلة ص288.

– النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات للخضري محمد العربي بن التباني، ط1، 1358ه–1959م.

– تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعليق الكوثري محمد العربي بن التباني، شركة مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط1، 1367ه–1948م.

– تحذير العبقري، ابن التباني محمد العربي ، الجزء الثاني، ط1، 1367ه–1948م.

– جامع البيان عن تأويل أي القرآن(تفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري.بيروت ،دار الفكر،1405 ه.

– خلاصة الكلام فيما هو في المراد بالمسجد الحرام، محمد العربي بن التباني، مصر، مكتبة ومطبعة الباني الحلي وأولاده، 1369ه–1950م

– سنن أبي داود سليمان بن الأشعث ، تحقيق،عزت عبيد الدعاس، حمص، الناشر محمد السيد.

– سنن الترمذي: أبو عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر. القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي.

– سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،تحقيق،شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،ط2، 1402ه/1982.

– سيد قطب الشهيد الحي: صلاح الخالدي، عمان، مكتبة، الأقصى، ط1، 1981م.

– صحيح البخاري : محمد إسماعيل البخاري، دار الفكر،ط2، 1411ه/1990م.

– عبد حميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي: مازن صلاح، مطبقاتي، دمشق،دار القلم،ط1، 1410ه/1989م.

– فتح الباري شرع صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني،تصحيح و تعقيب ،عبد العزيز باز،دار الفكر، 1411ه/1990م.

– في ظلال القرآن:سيد قطب،دار الشروق، ط32، 1423ه / 2003م

– كلمات في الوسطية الإسلامية و معالمها : يوسف القرضاوي دار الشروق ط3 2011م

– لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، بيروت ، دار صادر

– معجم مقاييس اللغة : أبي الحسن ابن فارس تحقيق : عبد السلام هارون إيران ، دار الكتب العلمية

– مقاصد الشريعة الإسلامية : محمد الطاهر بن عاشور تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، الأردن، دار النفائس ط1 : 1421ه/2001م

– محادثة أهل الأدب بأخبار وانساب جاهلية العرب ، محمد العربي بن التباني،ط،1،1951 .